المقدمة

" لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْكَ لاشَرِيكَ لَكَ لَبَّيْك، إِنَّ الحمدَ والنعمةَ لَكَ والملكَ، لا شَرِيكَ لَك " ، بهذه الكلمات العظيمة، المفعمة بمشاعر الوحدانية لله تعالى، المتجذرة في العبودية الحقة ، والمتأصلة في الانقياد التام لله الواحد القهار، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلبي بها للحج والعمرة، فعن سهل بن سعد ، قال: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلاَّ لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أو شجرٍ أو مَدَرٍ حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا» رواه الترمذي. إنه الركن العظيم المرتبط بالأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – من لدن أبينا إبراهيم الخليل وبنائه للبيت العتيق، إلى نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وتعظيمه لحرمة مكة – شرفها الله تعالى – ، شاهدة على دعوة الأنبياء والرسل بالصدق، وملبية نداء الحق تبارك وتعالى لهذه الشعيرة العظيمة؛ ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ . الحج:٢٧ وإنها لمناسبة جليلة، وإنَّهُ لموسم عظيم؛ أن يقف عشرات الألوف من المسلمين من شتى البلدان، والأصقاع، والأجناس، والألوان، على صعيد واحد، على ثرى هذه الأرض المباركة التي جعلها الله قبلة للعالمين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٦ . فيتذكر الحاج حين تنقله في المشاعر وأدائه للمناسك، ماكان يقوم به أولئك الصفوة المختارة من الأنبياء والرسل – عليهم السلام – على ثرى هذه الأرض المباركة. وفي الأشهر المعلومات، فيرتبط في ذهنه سيرهم ويتأصل في قلبه الاقتداء بهم. فَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – ، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. فَمَرَرْنَا بِوَادٍ . فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا ؟» فَقَالُوا: وَادِي الأَزْرَقِ. فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى (فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعَرِهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ) وَاضِعاً إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ. لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ. مَارّاً بِهَذَا الْوَادِي » قَالَ: « ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ. فَقَالَ: « أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ » قَالُوا: هَرْشَى أَوْ لِفْتٌ. فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ . عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ. خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ. مَارّاً بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّياً » . رواه مسلم.

نعم أيها القارئ الكريم: الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، وفريضةٌ فرضها الله في العمر مرة واحدة على من استطاع إليه سبيلاً. يعيش فيها الحاج على الأرض أياماً معلومات مع عبق الذكريات الخالدة وفي أماكن تنزّل القرآن الكريم ! فالحج له معان عظيمة، وحكم بالغة، ومنافع جمّة، كما قال سبحانه : ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ الحج : ٢٨ ومن أعظمها إظهار العبودية الكاملة لله سبحانه. وحينما تشرفت قبل عقد من الزمن بإصدار الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ضمنته باباً يتناول أركان الإسلام ومن ضمنها ركن الحج العظيم؛ بطريقة الخرائط المفهومية، والتاريخية، وشيئاً من الصور المعبرة،

ونظـراً لنجـاح هذه التجربة العلمية، فقد أشار عليَّ الكثير مـن الأخوة الفضلاء، والأساتذة النبلاء، أن أستمـر فـي تقديم مثل هذه الأفكار فيما يخدم العلوم الشرعية مـن خلال أطالسي التاريخية الإسلامية، ولعل أطلس الأديان « تاريخ عقائد، انتشار » والذي خرج قبل أربع سنوات جاء يحمل شيئاً من ذلك.

وحينمـا تشرفـت بدعـوة كريمة من قبل قناتنا الجـادة (قناة المجد الفضائيـة)، ممثلة بالدكتور / فهد السنيـدي؛ للمشاركـة معه في برنامـج ساعة حوار، عن " الحج تأريخاً " وجدتهـا فرصة سانحة أن أقدم بعض الشواهد التاريخية عن الحج، جـاءت بعضها متناثرة في أطالسي التاريخية العشرة، ولاسيما " أطلس تاريـخ الأنبياء والرسل "؛ لكن الإعلامي المبدع مقدم البرنامج ومن خلال برنامجه الشهير، قدح زناد الفكرة حينما قال : هل نرى منكم بعد هذا اللقاء أطلساً عن الحج، وأن يكون منطلقه من هذه القنـاة ؟! وواعدتـه خيراً، على أن أبذل قصارى جهدي خلال المرحلـة القادمة، ومنذ ذلك الحين، وحتى كتابـة هـذه المقدمة، وأنا في حالة استنفار كامل لإنجاز هذا الأطلس قبل موسم الحج القادم، - وبفضل من الله ومنّة - فقد أنجزته خلال ثمانية أشهر تقريباً، حتى اهتديت - بفضل الله تعالى - إلى أن يكون مسمـى هـذا الأطلس " **أطلس الحج والعُمرة تأريخاً وفقهـاً** ". حيث جعلت هذا الأطلس في **قسمين**:

القسم الأول " التاريخي " ويتناول:

أولاً: مكة المكرمة والمشاعر المقدسة، في ثمانية أبواب على النحو التالي:

البـاب الأول: الحج قبل دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام. والباب الثـاني: هجرة إبراهيم الخليل عليه السلام وبناء البيت ودعوة الناس للحج إليه. والباب الثالث: بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصفة الحج الذي بينه . والبـاب الرابـع: الحج فـي صدر الإسـلام حتى نهاية العصـر المملوكـي. والباب الخامس : أشهر طرق ومسالـك الحـج فـي الماضي وبدايـات العصـر الحديث. والبـاب السادس الحـج في الفكـر الجغرافي الإسلامـي والعالمي. والباب السابع: الحج في العصر العثماني. والباب الثامن: الحج في العهد السعودي المبارك .

ثانياً: المدينة النبوية في خمسة أبواب رئيسة على النحو التالي:

البـاب الأول: المدينـة النبوية وهجـرة الرسول صلى الله عليه وسلـم إليها. الباب الثـاني: عمارة المسجد النبـوي عبر أطـوار التاريخ. والباب الثالث: من معالم المسجد النبوي الشريـف. والباب الرابع: من أشهر المساجـد التاريخيـة في المدينة النبوية. والباب الخامس: من أبرز المعالم في المدينة النبوية، ثم ختم هذا القسم بقائمة بأهم المصادر والمراجع المستخدمة فيه؛ ليسهل على الباحث الاطلاع بكل يسر وسهولة على مصادر ومراجع القسم الأول « التاريخي » .

أما القسم الثاني "الفقهي"، فقد تناول الحج والعمرة من الناحية الفقهية والذي أمرنا الله – سبحانه وتعالى – بأدائها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٦ وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «بُنِيَ الإسلامُ عَلى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاّ اللهُ، وَأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ، وَإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضانَ». رواه البخاري، حيث تم تزويد هذا القسم بالخرائط التاريخية، والجغرافية، والفضائية، والمفهومية، والصور ذات المقصد الشرعي، فضلاً عن النصوص المعبرة من الكتاب والسُنّة، ومنهج علمائنا الأفاضل، ومشايخنا الأجلاء، كما هو مذكور في مواضعه؛ لذلك جاء هذا القسم؛ ليلبي حاجة المكتبة الشرعية؛ لأطلس فقهي يُعرِّف بمناسك الحج والعمرة، بكل يسر وسهولة، وبأسلوب تقني عصري.

إن كل من أكرمه الله بأداء فريضة الحج، أو العمرة، خلال العقود الأخيرة، رجع وقد رأى وشاهد أنواعاً من التصرفات والسلوك بين بعض صفوف الحجاج والمعتمرين، لا تليق بمسلم يؤمن بأن تعظيم المناسك من تقوى القلوب، وأنها تعين على تجديد العهد مع الله تعالى، وتخلّص النفس من أدرانها وأوضارها، وتهيّج كوامنها وعواطفها الإسلامية نحو مزيد من استحضار عظمة الله تعالى، واستشعار الخشوع له؛ لكن الملاحظ – وللأسف – أن هناك جهل كبير بأحكام الحج وآدابه بين فئام كثيرة من أبناء المسلمين، أدى إلى وقوع أضرار كبيرة بين الحجاج، وأعطى صورة لا تليق بهذه الأمة العظيمة؛ لذلك حاولت جاهداً عبر هذا الأطلس أن يكون للقسم الأول «التاريخي» دور بارز في تعريف هذا الجيل بطبيعة المسميات في مكة المكرمة، والمشاعر المقدسة، من الناحية الشرعية، والتاريخية، واللغوية، والجغرافية، مع الربط بالنص، والخارطة، والصورة، من القسم الثاني «الفقهي» ليستطيع الحاج، أو المعتمر، أن يؤدي هذه الشعيرة العظيمة، بخلفية ثقافية أصيلة، يستطيع معها نقل الصورة الصحيحة عن الحج، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ . البقرة: ١٩٧. لذلك ينبغي على الحاج أو المعتمر إبراز دوره الريادي في مجال نقل الصورة المأمولة منه؛ كأحد المنتمين إلى هذا الدين العظيم، فإذا ما ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام، وجب عليه أن يعود إلى ضوابط الشرع؛ فيكفّر عن هذا المحظور الذي وقع فيه، بتقديم هدي، أو صدقة، أو صيام، وأن يلتزم بمنظومة الضوابط، والإرشادات التي وضعت خدمة له، وأن يتذكر كل حاج ومعتمر حرمة المسلم: دمه، وماله، وعرضه، وبيان ومكانة قدسية الحرمين الشريفين، وثواب العمل فيهما. والحث على تحقيق معاني الأخوة الإسلامية الأصيلة في أبهى صورة وأجمل حُلّة... .

إنها أمنية عظيمة أن يعيش هؤلاء الحجاج والمعتمرون، في أجواء إيمانية صرفة، وهم يؤدون مناسكهم مستذكرين قول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ

أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ الحج: ٣٤ – ٣٥ .

وهنا ينبغي أن نسدي لأهل الفضل شيئاً يسيراً من فضائلهم، ونثمن عالياً الدور العظيم الذي تقدمه حكومة المملكة العربية السعودية – وفقها الله – بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك/ **عبدالله ابن عبدالعزيز آل سعود**، وصاحب السمو الملكي الأمير/ **سلطان بن عبدالعزيز آل سعود** ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وصاحب السمو الملكي الأمير/ **نايف ابن عبد العزيز آل سعود** النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية في سبيل خدمة الحرمين الشريفين، والمشاعر المقدسة، طوال العام، وتوفير كل سبل الراحة، والطمأنينة للحاج والمعتمر، ليعود إلى بلاده؛ مبتهج القلب، مسرور الخاطر، مثلج الصدر، فرحاً فخوراً بما رآه من حكومة المملكة العربية السعودية، وشعبها النبيل، من حسن وفادة، وكرم ضيافة، ومزيد عناية ورعاية، وهذا ما حاولنا جاهدين خلال قسميّ الكتاب الإشارة إليه بلفتات حقيقية، ووقفات معبرة، وتنبيهات هامة .

وأخيراً وليس آخراً، أسأل الله – تعالى – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٨٦

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

الأحساء / المبرز

في ١ / ٨ / ١٤٣١ هـ

samimag13@gmail.com

جوال ٠٥٠٤٩٣٤٦٩٣